آدم عليه السلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية إلى غير ذلك مما خص الله به آدم عليه السلام للعناية التي سبقت له من القدم وقوله تعالى قال فاهبط منها يعني قال الله عز وجل لإبليس اهبط من الجنة وقيل من السماء إلى الأرض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف فما يكون لك أن تتكبر فيها يعني فليس لك أن تتكبر في الجنة عن أمري وطاعتي لأنه لا ينبغي أن يسكن في الجنة أو في السماء متكبر مخالف لأمر الله عز وجل فأما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله وهم الكفار الساكنون في الأرض فاخرج إنك من الصاغرين يعني إنك من الأذلاء المهانين والصغار والذلة والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله إبليس فابتلاه الله بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الأرض فأخرجه الله منها إلى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الأرض إلا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها قال يعني إبليس عند ذلك أنظرني يعني أخرني وأمهلني فلا تمتني إلى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث إبليس لأنه سأل ربه الإمهال وقد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إلى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب إلى ما سأله قال الله له إنك من المنظرين يعني من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة في سورة الحجر فقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم **فإن قلت** ما وجه قوله إنك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه **قلت** معناه الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بآجالهم فهو منهم قال يعني إبليس فبما أغويتني يعني فبأي شيء أضللتني وعلى هذا تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتدأ فقال لأقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل بالقسم تقديره فبإغوائك إياي وقيل معناه فيما أوقعت في قلبي الغي الذي كان سبب هبوطي إلى الأرض من السماء وأضللتني عن الهدى لأقعدن لهم صراطك المستقيم يعني لأجلس على صراطك القويم وهو طريق الإسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة وذلك بأن أوسوس إليهم وأزين الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الأول أولى لأنه يعم الجميع ومعنى الآية لأصدن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم ولأضلنهم كما أضللتني عن سبرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له على طريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة وقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى إخبارا عن إبليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فأشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فأرغبهم فيها وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي وإنما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لأنهم منقلبون إليها وصائرون إليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وإنما جعل الدنيا من بين أيديهم في هذا القول لأن الإنسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا أزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة أثبطهم عنها وعن أيمانهم يعني من قبل الحق أصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل أزينه لهم وقال قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم

زين

زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يبصرون وعن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا أنهم يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه على طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه محظورا نالوه قال شقيق البلخي ما من صباح إلا ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل إن ذكر هذه الجهات الأربع إنما أريد بها التأكيد والمبالغة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم وأنه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول لآتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله تعالى ولا تجد أكثرهم شاكرين يعني ولا تجد يا رب أكثر بني آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد أكثرهم موحدين **فإن قلت** كيف علم الخبيث إبليس ذلك حتى قال ولا تجد أكثرهم شاكرين **قلت** قاله ظنا فأصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقيل إنه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني آدم إلى ذلك فقال هذه المقالة وقيل إنه رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم بمراده قوله عز وجل قال اخرج منها أي قال الله لإبليس حين طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فإنه لا ينبغي أن يسكن فيها العصاة مذءوما مدحورا يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني آدم لأملأن جهنم منكم أجمعين لام القسم أقسم الله أن من تبع إبليس من بني آدم وأطاعه أنه يملأ جهنم منه وممن كفر من بني آدم وإبليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك يعني حواء الجنة وذلك بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث شئتما يعني فكلا من ثمار الجنة من أي مكان شئتما **فإن قلت** ثم في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق **قال** الإمام فخر الدين الرازي إن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس إليهما والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان يقال وسوس إذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة وألقاها إليهما **فإن قلت** كيف وسوس إليهما آدم وحواء في الجنة وإبليس قد أخرج منها **قلت** ذكر الإمام فخر الدين في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان يوسوس من الأرض إلى السماء إلى الجنة بالقوة الفوقية التي جعلها الله له وقال أبو مسلم الأصفهاني بل كان آدم وإبليس في الجنة لأن هذه الجنة كانت بعض جنات الأرض والذي يقوله بعض الناس من أن إبليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية إلى الجنة فتلك قصة مشهورة ركيكة وقال آخرون إن آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان إبليس واقفا من خارج الجنة على بابها فيقرب أحدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك **فإن قلت** إن آدم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين إبليس من العداوة فكيف قبل قوله **قلت** يحتمل أن يقال

Copyright © King Saud University